﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء: 106]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

البشارة للقوم العابدين

بعد أن ذكر الله تعالى في الآية السّابقة أنّ ميراث الأرض الَّذي هو أرض الدُّنيا أو جنّة الآخرة يكون لعباد الله الصّالحين، ذكر هنا أنّ هذا الخبر هو البلاغ الأهمُّ لعباد الله الموصوفين بالصّلاح، فيكون أعظمَ بشارةٍ لهم، وهي الكرامة الَّتي يختصّ بها القوم العابدون.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَبَلَٰغًا﴾: أصلُ (بلغ) يدلُّ على لُحوقِ الشّيْءِ والوُصولِ إليه أو المُشارَفَةِ عليه [1]، والإبلاغُ: الإيصالُ، يُقال: بَلَّغَهُ وأبْلَغَهُ السَّلامَ، يُبَلِّغُهُ، بلاغًا وتبليغًا وإبلاغًا: إذا أوصلَهُ [2]، والمُرادُ بالبلاغ في الآية: الكفاية أو السَّبب لبلوغ المقصد، أي: إنَّ في هذا القرآن، وفيما ذُكر في هذه السّورة من آدابٍ وهداياتٍ، وعقائدَ وتشريعاتٍ؛ لبلاغًا وكفايةً في الوصول إلى الحقِّ، لقومٍ عابدين [3].

2) ﴿عَٰبِدِينَ﴾: أصلُ (عبد) يدلُّ على لينٍ وذُلٍّ [4]، والعُبوديَّةُ: إظهار التَّذلُّل، والعبادةُ أبلغُ منها؛ لأنَّها غاية التَّذلُّل، ولا يستحقّها إلّا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى [5]، والمُرادُ بالعبادة في الآية: الوقوفُ عند حُدودِ الشَّريعةِ [6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إنَّ في القرآن منفعةً وكفايةً للذين عبدوا الله حقَّ عبادته

يَقولُ اللهُ تعالى: إنَّ في هذا القرآنِ الَّذي أنزَلْناه على نبيِّنا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بلغ)، والأزهري، تهذيب اللغة: (بلغ).
(2) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (بلغ).
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 9/ 258.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عبد).
(5) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (عبد).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 164.

محمَّدٍ ﷺ لَكفايةً ومنفعةً لِقَومٍ عابِدينَ اللّهَ بما شَرَعه لهم ورَضيَه منهم، يَتبلَّغونَ به في الوصولِ إلى بُغْيتِهم مِن خيرِ الدُّنيا والآخرةِ، فمن لم يُغْنِه القرآن، فلا أغناه الله، ومن لا يكفيه، فلا كفاه الله [1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغة التَّذييل في الآية:

تبليغ القوم العابدين بأعظم بلاغ

الآية: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ بمجملها تذييلٌ للوعد، وإعلانٌ بأنْ قد آنَ أوانه، وجاء إبّانه[2]، فبمجيء الإسلام والإيمان بمحمَّدٍ ﷺ فقد بلغ البلاغُ إلى النّاس، وخصّ العابدين منهم، النّابهين إلى عظيم شأن هذا البلاغ، والبلاغ بمجمله هو استحقاق ميراث الأرض للمؤمنين الصّادقين.

سرّ فصل هذه الآية عمّا قبلها:

إيصال وعد الله للعابدين جميعًا

فصل هذه الجملة عمّا قبلها؛ لأنّ كلا الجملتين خبريَّة، وإنَّ الثّانية تذييل للسّابقة، فهي بمثابة البدل لما سبقها، فيكون بينهما كمال الاتّصال، فالإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾؛ أي إلى وعد الله للمؤمنين، الَّذي جاء في الرّسالات السّماويّة؛ في الزَّبور من بعد الذّكر، وفي القرآن[3].

دلالة التأكيد في قوله: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾:

توثيق وعد الله المؤمنين بوراثة الأرض

في قوله: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ أكّد بـ ﴿إِنَّ﴾ ما ذُكر آنفًا من وعد الله تعالى لعباده الصّالحين أنَّهم سيرثون الأرض، ودلالة التّأكيد محو الشّكوك الَّتي ترد على نفوس المُخاطبين من قضيّة ميراث الأرض لعباد الله الصّالحين، بأنّ فيما ذُكر أعظمَ بلاغٍ للعابدين، الَّذين يرجون بعبادتهم رضاءَ الله، ونشرَ دينِ الله، وجَعْلَهُ مهيمنًا في عموم

(1) ابن جرير، جامع البيان: 16/ 437، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 532.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 163.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 164.

الأرض فيكون لهم ميراث الأرض، أمّا إن أريد بالأرض مكانهم في الجنان فيكون ذلك البلاغ أعظم أثرًا في نفوس العابدين أنّهم موعودون بوراثة جنان الله يوم القيامة.

دلالة اللّام في قوله: ﴿لَبَلَٰغًا﴾:

تـوكـيـد بـلـوغ الرّسالة بالوعد

فائدة اللام في قوله: ﴿لَبَلَٰغًا﴾ للتوكيد، فما ذُكِرَ في كتاب الله من مواعظ وبشائر غايةُ الكفاية لمن أراد الهداية وبلوغ الجنّات، وأيُّ كفايةٍ أعظَمُ من هذا الكتاب المبارك الَّذي قال عنه ربُّنا سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت 51].

دلالة التّعبير بالمصدر ﴿لَبَلَٰغًا﴾:

وصول الخبر إلى كلّ عاقلٍ في كلّ زمانٍ ومكان

دلّ التّعبير بالمصدر على الثّبات؛ فهو الاسم الَّذي يدلُّ على الحدث الجاري على الفعل المجرَّد عن الذّات والمكان والزَّمان، فلا يتغيّر بتغيّر الزّمان، وإنّما يتّصف بالثّبات، والمصدر في قوله: ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا﴾ دلّ على وصول هذا الخبر إلى كلّ عاقلٍ واعٍ، يبحث عن الحقّ؛ في كُلّ زمانٍ أو مكان، ودلَّ على كفاية ذلك البلاغ لكلِّ من وصل إليه.

الغرض من التنكير في قوله ﴿لَبَلَٰغًا﴾:

البلاغ من الله سببٌ في الاتِّعاظ والاهتداء

التّنكير في قوله: ﴿لَبَلَٰغًا﴾؛ لبيان عظيم شأن هذا البلاغ ونفعه، فإنَّ ما ذكره ربُّنا من أدلَّةٍ وبراهين على عظيم قدرته على البعث والحساب، وما بشَّر به عباده المتَّقين كافٍ في البلوغ إلى معرفة الحقِّ[1]، والاتِّعاظ والاهتداء.

دلالة اللام في قوله ﴿لِّقَوْمٍ﴾:

أهـل الإيـمـان هم أهل التَّذكّرِ والانتفاع

اللّام في قوله: ﴿لِّقَوْمٍ﴾؛ متعلّقٌ بقوله ﴿لَبَلَٰغًا﴾، وهي هنا تفيد الاختصاص، فقد اختُصّ هؤلاء القوم العابدون بالانتفاع

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 508.

بما في وحي الله تعالى من مواعظَ وهداياتٍ، أمّا الجاحدون فهم عنها معرضون.

دلالة التّعبير بالعابدين دون المؤمنين:

العبادة دلالة على مجاهدة النّفس

المراد بالقوم العابدين: مَنْ شأنُهم العبادةُ لا ينحرفون عنها، ووصف العابدين بلفظ (قوم) المشعرِ بأنَّ العبادة هي قِوامُ قوميَّتهم[1]، والعبادة تأتي بعد الإيمان؛ وكثرتها توحي بقوّته والصّبر على مجاهدة النّفس.

الغرض من التّنكير في قوله ﴿لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾:

البلاغ عامٌّ لجميع من سكن الأرض

أفاد التّنكير في ذكر القوم العابدين التّعميم؛ فهذا البلاغ هو لعموم من كان عابدًا لله وتحفيزًا للآخرين ليكونوا عابدين لله تعالى فينالوا نصيبًا من عهد الله في ميراث الأرض وهي جنانُ الله تعالى، أو ميراث الأرض في الدّنيا بالجهاد والاجتهاد، ويشمل هذا الوعد مَن اتّصف بهذه الصّفة ﴿عَٰبِدِينَ﴾ منذ نزول القرآن إلى قيام السّاعة، وأفادت الاسميّة في قوله: ﴿عَٰبِدِينَ﴾ الدّلالةَ على القوّة والثّبات والتزام العبادة منهم.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القوم والفريق والجماعة والملأ :

القوم الكثرة من النّاس يشتركون بصفةٍ أو علاقةٍ

القوم جماعةٌ يشتركون بصفةٍ مُعيّنةٍ أو مصلحةٍ أو علاقةٍ أو نسب؛ وإن لم يلتقوا أو يجتمعوا فيما بينهم، وأمّا الجماعة فهي مجموعة الأفراد أقلّها اثنان أو ثلاثة، بينهم علاقاتٌ اجتماعيةٌ متبادلةٌ فيما بينهم، وهي تدلّ على مجموعة النّاس الَّذين يلتقون ويجتمعون فيما بينهم.

وأمّا الفريق فهو الجماعة الثّانية من جماعةٍ أكثر منها، تقول

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 164.

الفريق جماعةٌ صغيرةٌ مفارقةٌ لجماعة أكبر

جاءني فريقٌ من القوم، وفريق الخيل ما يفارق جمهورها في الحلبة فيخرج منها، وفي مثلٍ: أسرع من فريق الخيل، والجماعةُ تقع على جميع ذلك[1].

الملأ هم الأشراف من القوم

وأمّا المَلأ فهم الأشراف الَّذين يملأون العُيون جمالًا والقلوب هيْبَةً، وهو من مَلَأت، ويجوز أن يكون الملأ الجَماعَة الَّذين يقومونَ بالأمور من قَوْلهم هو مَليءٌ بِالأمر إذا كانَ قادرًا عَليْهِ، والمعنيان يرجعان إلَى أصلٍ واحِدٍ وهو الملء[2].

(1) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 165.
(2) العسكريّ، الفروق اللغوية: 280 - 281.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 34 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-76-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 34 : المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-76-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»